اقتراب الفتن
وفتح ردم يأجوج ومأجوج

روى مسلم في صحيحه قال: «حدثنا عمرو الناقد حدثنا سفيان بن عيينة عن الزُّهري عن عروة عن زينب بنت أم سَلَمة عن أم حبيبة عن زينب بنت جحش: أن النبي ﷺ استيقظ من نومه وهو يقول: **لا إله إلا الله، ويل للعرب من شر قد اقترب؛ فُتح اليومَ من رَدْمِ يأجوج ومأجوج مثلُ هذه**، وعقد سفيانُ بيده عَشَرَة، قلت: يا رسول الله أَنَهْلِكُ وفينا الصالحون؟ قال: **نعم، إذا كَثُرَ الخَبَثُ**».

وفي رواية أخرى لمسلم عن زينب أيضاً قالت: «خرج رسول الله ﷺ يوماً فَزِعاً مُحْمراً وجهُهُ يقول: **لا إله إلا الله، ويل للعرب من شر قد اقترب؛ فُتح اليوم من رَدْم يأجوج ومأجوج مثلُ هذه**، وحَلَّق بإصبعه الإبهام والتي تليها.

قالت: فقلتُ: يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: **نعم، إذا كَثُرَ الخبثُ**».

وحدث مسلم أيضاً عن أبي بكر بن أبي شيبة فقال: «حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا أحمد بن إسحاق، حدثنا وُهيب حدثنا عبد الله بن طاووس، عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: **فُتِحَ اليومَ من رَدْم يأجوج ومأجوج مثل هذه، وَعَقَدَ وُهيبٌ بيده تسعين**»[1].

---

(1) صحيح مسلم، مصر، طبعة محمد علي صبيح وأولاده، ج 8/ 165، 166.

وبنحو هذا روى البخاري أيضاً، وهذا من علامات الساعة الكبرى.

وأما ترتيب الأحداث بالنسبة إلى ما يرد من أحداث الفتن في سياق ما قبله وما بعده مما سيرد ذكره فقد روى نعيم بن حماد في كتاب «الفتن» ما نصه عن كعب أنه قال: «**إذا قتل الله يأجوج ومأجوج، فبينما الناس كذلك إذ جاءهم الصريخ أن ذا السُّوَيقتين قد غزا البيتَ يريده، فيبعث الله عيسى ابن مريم عليه السلام طليعة سبع مئة أو بين السبع مئة والثمان مئة، حتى إذا كانوا ببعض الطريق بعث الله ريحاً يمانية طيبة فَتَقْبِضُ روحَ كل مؤمن ثم يبقى عَجَاجٌ من الناس يتسافدون كما يتسافد البهائم، فَمَثَلُ الساعة مَثَلُ رَجُل يُطِيف حولَ فرسه ينتظر حتى تضع، فمن تكلف بعد قولي هذا شيئاً أو بعد علمي هذا شيئاً فهو المتكلّف**»[1].

وروى أيضاً عن وهب بن منبه قال: «**أول الآيات الروم، ثم الدجال، والثالثة يأجوج ومأجوج، والرابعة عيسى ابن مريم، والخامسة الدخان، والسادسة الدابة**»[2].

وهذا هو اجتهاد ولا شك من خلال الأحاديث المروية في هذا الصدد؛ إذ إن نعيم بن حماد نفسه قد روى حديثاً عن النبي ﷺ وفيه: «**خمس لا أدري أيتهن أول الآيات، وأيتهن جاءت لا ينفع نفساً إيمانُها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً؛ طلوعُ الشمس من مَغْرِبها والدجال ويأجوج ومأجوج والدخان والدابة**»[3].

وأيضاً فقد ورد حديث في أنه بعد ظهور يأجوج ومأجوج يمتنع الحج كما أنه دلَّ آخر على امتناع الحج، وهذا بعد ظهور علامات الساعة أو أشراطها؛ فاللفظ الأول: «**إن الناس ليحجون ويعتمرون ويغرسون النخل بعد خروج**

(1) الفتن، نعيم بن حماد، سمير أمين الزهري، ط1، القاهرة (1412هـ) 2/ 675.
(2) السابق: 2/ 662.
(3) السابق: 2/ 653.

يأجوج ومأجوج»، والثاني: «**لا تقوم الساعة حتى لا يُحَج البيتُ**»[1]. وهذه المعارضة ظاهرية، فالراجح الأول لقول البخاري رحمه الله: «والأول أكثر»[2] وهذا لأن ثمة من اتفق في رواية هذا الحديث من الرواة في لفظه. وقال الحافظ ابن حجر: «ولكن يمكن الجمع بين الحديثين، فإنه لا يلزم من حج الناس بعد خروج يأجوج ومأجوج أن يمتنع الحج في وقت ما عند قرب ظهور الساعة، ويظهر ـ والله أعلم ـ أن المراد بقوله: «ليحجن البيت» أي مكان البيت لما سيأتي بعد باب أن الحبشة إذا خربوه لم يعمر بعد ذلك»[3].

تفسير لابن حجر:

ونقل هنا ما قاله الحافظ ابن حجر في شأن الآيات وترتيبها، وما رجح عنده في ذلك، وما ذكر عن العلماء وفي الأخبار من شأنه الإيمان والتوبة وما إلى ذلك من آيات متضافرة، لإلقاء الضوء على ما سيأتي من أبواب الفتن في هذا الكتاب إن شاء الله.

قال رحمه الله:

«فالذي يترجح من مجموع الأخبار أن خروج الدجال أول الآيات العظام المؤذنة بتغير الأحوال العامة في معظم الأرض، وينتهي ذلك بموت عيسى ابن مريم. وأن طلوع الشمس من المغرب هو أول الآيات العظام المؤذنة بتغير أحوال العالم العلوي، وينتهي ذلك بقيام الساعة، ولعل خروج الدابة يقع في ذلك اليوم الذي تطلع فيه الشمس من المغرب، وقد أخرج مسلم أيضاً من طريق أبي زرعة عن عبد الله بن عمرو بن العاص رفعه: «**أول الآيات طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة على الناس ضحى، فأيهما خرجت قبل**

(1) فتح الباري، ابن حجر، عبد الباقي والخطيب، دار المعرفة بيروت (1379هـ) 3/ 455.
(2) نفسه.
(3) السابق: 3/ 455، 456.

الأخرى فالأخرى منها قريب» وفي الحديث قصة لمروان بن الحكم وأنه كان يقول: أول الآيات خروج الدجال، فأنكر عليه عبد الله بن عمرو، قلت: ولكلام مروان محمل يعرف مما ذكرته، قال الحاكم أبو عبد الله: الذي يظهر أن طلوع الشمس يسبق خروج الدابة ثم تخرج الدابة في ذلك اليوم أو الذي يقرب منه، قلت: والحكمة في ذلك أن عند طلوع الشمس من المغرب يغلق باب التوبة فتخرج الدابة تميز المؤمن من الكافر تكميلاً للمقصود من إغلاق باب التوبة، وأول الآيات المؤذنة بقيام الساعة النار التي تحشر الناس كما تقدم في حديث أنس في بدء الخلق في مسائل عبد الله بن سلام، ففيه **«وأما أول أشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب»** وسيأتي فيه زيادة في باب «كيف الحشر»، قال ابن عطية وغيره ما حاصله معنى الآية: «أن الكافر لا ينفعه إيمانه بعد طلوع الشمس من المغرب، وكذلك العاصي لا تنفعه توبته، ومن لم يعمل صالحاً من قبل ولو كان مؤمناً لا ينفعه العمل بعد طلوعها من المغرب. وقال القاضي عياض: المعنى لا تنفع توبة بعد ذلك بل يختم على عمل كل أحد بالحالة التي هو عليها. والحكمة في ذلك أن هذا أول ابتداء قيام الساعة بتغير العالم العلوي، فإذا شوهد ذلك حصل الإيمان الضروري بالمعاينة وارتفع الإيمان بالغيب فهو كالإيمان ثم الغرغرة وهو لا ينفع، فالمشاهدة بطلوع الشمس من المغرب مثله، وقال القرطبي في التذكرة بعد أن ذكر هذا: فعلى هذا فتوبة من شاهد ذلك أو كان كالمشاهد له مردودة فلو امتدت أيام الدنيا بعد ذلك إلى أن ينسى هذا الأمر أو ينقطع تواتره ويصير الخبر عنه آحاداً فمن أسلم حينئذٍ أو تاب قُبل منه. وأيد ذلك بأنه روى أن الشمس والقمر يكسيان الضوء بعد ذلك ويطلعان ويغربان من المشرق كما كانا قبل ذلك. قال وذكر أبو الليث السمرقندي في تفسيره عن عمران بن حصين قال: إنما لا يقبل الإيمان والتوبة وقت الطلوع لأنه يكون حينئذٍ صيحة فيهلك بها كثير من الناس، فمن أسلم أو تاب في ذلك الوقت لم تقبل توبته، ومن تاب بعد ذلك قبلت توبته. قال وذكر الميانشي عن عبد الله بن عمرو رفعه

قال: «تبقى الناس بعد طلوع الشمس من مغربها عشرين ومائة سنة»، قلت: رفع هذا لا يثبت. وقد أخرجه عبد بن حميد في تفسيره بسند جيد عن عبد الله بن عمرو موقوفاً وقد ورد عنه ما يعارضه، فأخرج أحمد ونعيم بن حماد من وجه آخر عن عبد الله بن عمرو رفعه: **«الآيات خرزات منظومات في سلك إذا انقطع السلك تبع بعضها بعضاً»** وأخرج الطبراني من وجه آخر عن عبد الله بن عمرو رفعه: **«إذا طلع الشمس من مغربها خر إبليس ساجداً ينادي إلٰهي مرني أن أسجد لمن شئت»** الحديث، وأخرج نعيم نحوه عن أبي هريرة والحسن وقتادة بأسانيد مختلفة، وعند ابن عساكر من حديث حذيفة بن أسيد الغفاري رفعه: **«بين يدي الساعة عشر آيات كالنظم في الخيط إذا سقط منها واحدة توالت»** وعن أبي العالية: «بين أول الآيات وآخرها ستة أشهر يتتابعن كتتابع الخرزات في النظام». ويمكن الجواب عن حديث عبد الله بن عمرو بأن المدة ولو كانت كما قال عشرين ومائة سنة لكنها تمر مروراً سريعاً كمقدار مرو عشرين ومائة شهر من قبل ذلك أو دون ذلك، كما ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة رفعه: **«لا تقوم الساعة حتى تكون السنة كالشهر»** الحديث وفيه **«واليوم كاحتراق السعفة»**. وأما حديث عمران فلا أصل له وقد سبقه إلى هذا الاحتمال البيهقي في «البعث والنشور» فقال في «باب خروج يأجوج ومأجوج» فصل: ذكر الحليمي أن أول الآيات الدجال ثم نزول عيسى، لأن طلوع الشمس من المغرب لو كان قبل نزول عيسى لم ينفع الكفار إيمانهم في زمانه ولكنه ينفعهم إذ لو لم ينفعهم لما صار الدين واحداً بإسلام من أسلم منهم، قال البيهقي: وهو كلام صحيح لو لم يعارض الحديث الصحيح المذكور أن **«أول الآيات طلوع الشمس من المغرب»**. وفي حديث عبد الله بن عمرو طلوع الشمس أو خروج الدابة، وفي حديث أبي حازم عن أبي هريرة الجزم بهما وبالدجال في عدم نفع الإيمان، قال البيهقي: إن كان في علم الله أن طلوع الشمس سابق احتمل أن يكون المراد نفي النفع عن أنفس القرن الذين شاهدوا ذلك، فإذا انقرضوا وتطاول الزمان وعاد بعضهم إلى الكفر عاد تكليفه الإيمان

بالغيب، وكذا في قصة الدجال لا ينفع إيمان من آمن بعيسى ثَمَّ مشاهدة الدجال وينفعه بعد انقراضه. وإن كان في علم الله طلوع الشمس بعد نزول عيسى احتمل أن يكون المراد بالآيات في حديث عبد الله بن عمرو آيات الدجال ونزول عيسى، إذ ليس في الخبر نص على أنه يتقدم عيسى. قلت: وهذا الثاني هو المعتمد والأخبار الصحيحة تخالفه ففي صحيح مسلم من رواية محمد بن سيرين عن أبي هريرة رفعه: «**من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه**»، فمفهومه أن من تاب بعد ذلك لم تقبل. ولأبي داود والنسائي من حديث معاوية رفعه: «**لا تزال تقبل التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها**». وسنده جيد. وللطبراني عن عبد الله بن سلام نحوه وأخرج أحمد والطبري والطبراني من طريق مالك بن يخامر بضم التحتانية بعدها خاء معجمة وبكسر الميم، وعن معاوية وعبد الرحمٰن بن عوف وعبد الله بن عمرو رفعوه: «**لا تزال التوبة مقبولة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت طبع الله على كل قلب بما فيه وكفى الناس العمل**» وأخرج أحمد والدارمي وعبد بن حميد في تفسيره كلهم من طريق أبي هند عن معاوية رفعه: «**لا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها**» وأخرج الطبري بسند جيد من طريق أبي الشعثاء عن ابن مسعود موقوفاً: «**التوبة مفروضة ما لم تطلع الشمس من مغربها**»، وفي حديث صفوان بن عسال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن بالمغرب باباً مفتوحاً للتوبة مسيرة سبعين سنة لا يغلق حتى تطلع الشمس من نحوه**» أخرجه الترمذي وقال حسن صحيح وأخرجه أيضاً النسائي وابن ماجه وصححه ابن خزيمة وابن حبان. وفي حديث ابن عباس نحوه ثَمَّ ابن مردويه وفيه: «**فإذا طلعت الشمس من مغربها رد المصراعان فيلتئم ما بينهما فإذا أغلق ذلك الباب لم تقبل بعد ذلك توبة ولا تنفع حسنة إلا من كان يعمل الخير قبل ذلك فإنه يجري لهم ما كان قبل ذلك**» وفيه فقال أبيّ بن كعب: فكيف بالشمس والناس بعد ذلك قال: **تكسى الشمس الضوء وتطلع كما كانت تطلع وتقبل الناس على الدنيا فلو نتج رجل مهراً لم يركبه حتى تقوم الساعة**». وفي حديث عبد الله بن

عمرو بن العاص عند نعيم بن حماد في كتاب الفتن وعبد الرزاق في تفسيره عن وهب بن جابر الخيواني بالخاء المعجمة قال: كنا ثَمَّ عبد الله بن عمرو فذكر قصة قال ثم أنشأ يحدثنا قال: إن الشمس إذا غربت سلمت وسجدت واستأذنت في الطلوع فيؤذن لها حتى إذا كان ذات ليلة فلا يؤذن لها وتحبس ما شاء الله تعالى، ثم يقال لها: اطلعي من حيث غربت، قال: فمن يومئذٍ إلى يوم القيامة لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل، وأخرجه عبد بن حميد في تفسيره عن عبد الرزاق كذلك ومن طريق أخرى وزاد فيها قصة المتهجدين وأنهم هم الذين يستنكرون بطء طلوع الشمس. وأخرج أيضاً من حديث عبد الله بن أبي أوفى قال: «**تأتي ليلة قدر ثلاث ليال لا يعرفها إلا المتهجدون، يقوم فيقرأ حزبه ثم ينام ثم يقوم فيقرأ ثم ينام ثم يقوم فعندها يموج الناس بعضهم في بعض، حتى إذا صلوا الفجر وجلسوا فإذا هم بالشمس قد طلعت من مغربها، فيضج الناس ضجة واحدة حتى إذا توسطت السماء رجعت**» وعند البيهقي في «البعث والنشور» من حديث ابن مسعود نحوه، «**فينادي الرجل جاره يا فلان ما شأن الليلة لقد نمت حتى شبعت وصليت حتى أعييت**» وعند نعيم بن حماد من وجه آخر عن عبد الله بن عمرو قال: «**لا يلبثون بعد يأجوج ومأجوج إلا قليلاً حتى تطلع الشمس من مغربها فيناديهم مناد: يا أيها الذين آمنوا قد قبل منكم، ويا أيها الذين كفروا قد أغلق عنكم باب التوبة وجفت الأقلام وطويت الصحف**»، ومن طريق يزيد بن شريح وكثير بن مرة «**إذا طلعت الشمس من المغرب يطبع على القلوب بما فيها وترتفع الحفظة وتؤمر الملائكة أن لا يكتبوا عملاً**»، وأخرج عبد بن حميد والطبري بسند صحيح من طريق عامر الشعبي عن عائشة: «**إذا خرجت أول الآيات طرحت الأقلام وطويت الصحف وخلصت الحفظة وشهدت الأجساد على الأعمال**»، وهو وإن كان موقوفاً فحكمه الرفع، ومن طريق العوفي عن ابن عباس نحوه. ومن طريق ابن مسعود قالا: «الآية التي يختم بها الأعمال طلوع الشمس من مغربها» فهذه آثار يشد بعضها بعضاً متفقة على أن الشمس

إذا طلعت من المغرب أغلق باب التوبة ولم يفتح بعد ذلك وأن ذلك لا يختص بيوم الطلوع بل يمتد إلى يوم القيامة، ويؤخذ منها أن طلوع الشمس من مغربها أول الإنذار بقيام الساعة وفي ذلك رد على أصحاب الهيئة ومن وافقهم أن الشمس وغيرها من الفلكيات بسيطة لا يختلف مقتضياتها ولا يتطرق إليها تغيير ما هي عليه. قال الكرماني: وقواعدهم منقوضة ومقدماتهم ممنوعة وعلى تقدير تسليمها فلا امتناع من انطباق منطقة البروج التي هي معدل النهار بحيث يصير المشرق مغرباً وبالعكس، واستدل صاحب الكشاف بهذه الآية للمعتزلة فقال: قوله: ﴿لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ﴾ صفة لقوله: ﴿نَفْسًا﴾. وقوله: ﴿أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَـٰنِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: 158] عطف على ﴿ءَامَنَتْ﴾ والمعنى أن أشراط الساعة إذا جاءت وهي آيات ملجئة للإيمان، ذهب أوان التكليف عندها فلم ينفع الإيمان حينئذ من غير مقدمة إيمانها قبل ظهور الآيات أو مقدمة إيمانها من غير تقديم عمل صالح، فلم يفرق كما ترى بين النفس الكافرة وبين النفس التي آمنت في وقته ولم تكتسب خيراً ليعلم أن قوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾ [البقرة: 25] جمع بين قرينتين لا ينبغي أن تنفك إحداهما عن الأخرى حتى يفوز صاحبها ويسعد، وإلا فالشقوة والهلاك.

قال الشهاب السمين: قد أجاب الناس بأن المعنى في الآية: إنه إذا أتى بعض الآيات لا ينفع نفساً كافرة إيمانها الذي أوقعته إذ ذاك، ولا ينفع نفساً سبق إيمانها ولم تكسب فيه خيراً فقد علق نفي نفع الإيمان بأحد وصفين: إما نفي سبق الإيمان فقط وإما سبقه مع نفي كسب الخير، ومفهومه أنه ينفع الإيمان السابق وحده. وكذا السابق ومعه الخير ومفهوم الصفة قوي فيستدل بالآية لمذهب أهل السنة ويكون فيه قلب دليل المعتزلة دليلاً عليهم، وأجاب ابن المنير في «الانتصاف» فقال: هذا الكلام من البلاغة يلقب اللف، وأصله يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً لم تكن مؤمنة قبل إيمانها بعد، ولا نفساً لم تكسب خيراً قبل ما تكتسبه من الخير بعد، فلف الكلامين فجعلهما كلاماً واحداً إيجازاً. وبهذا التقرير يظهر أنها لا تخالف مذهب أهل الحق فلا

ينفع بعد ظهور الآيات اكتساب الخير ولو نفع الإيمان المتقدم من الخلود، فهي بالرد على مذهبه أولى من أن تدل له. وقال ابن الحاجب في أماليه: الإيمان قبل مجيء الآية نافع ولو لم يكن عمل صالح غيره، ومعنى الآية: ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا﴾ [الأنعَام: الآية 158] ولا كسبها العمل الصالح لم يكن الإيمان قبل الآية أو لم يكن العمل مع الإيمان قبلها فاختصر للعلم، ونقل الطيبي كلام الأئمة في ذلك ثم قال المعتمد: ما قال ابن المنير وابن الحاجب وبسطه أن الله تعالى لما خاطب المعاندين بقوله تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ﴾ [الأنعَام: الآية 155] الآية. علل الإنزال بقوله: ﴿أَن تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ إلخ. إزالة للعذر وإلزاماً للحجة، وعقبه بقوله: ﴿فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ﴾ [الأنعام: 157] تبكيتاً لهم وتقريراً لما سبق من طلب الاتباع ثم قال: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ﴾ [الأنعَام: الآية 157] الآية. أي أنه أنزل هذا الكتاب المنير كاشفاً لكل ريب وهادياً إلى الطريق من الله للخلق ليجعلوه زاداً لمعادهم فيما يقدمونه من الإيمان والعمل الصالح فجعلوا شكر النعمة إن كذبوا بها ومنعوا من الانتفاع بها. قال: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾ [البَقَرَة: الآية 210] الآية. أي ما ينتظر هؤلاء المكذبون إلّا أن يأتيهم عذاب الدنيا بنزول الملائكة بالعقاب الذي يستأصل شأفتهم كما جرى لمن مضى من الأمم قبلهم، أو يأتيهم عذاب الآخرة بوجود بعض قوارعها فحينئذ تفوت تلك الفرصة السابقة فلا ينفعهم شيء مما كان ينفعهم من قبل من الإيمان. وكذا العمل الصالح مع الإيمان فكأنه قيل: يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها ولا كسبها العمل الصالح في إيمانها حينئذ إذا لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانهاخيراً من قِبل، ففي الآية لف لكن حذفت إحدى القرينتين بإعانة النشر ونظيره قوله تعالى: ﴿وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾ [النِّساء: الآية 172] قال: فهذا الذي عناه ابن المنير بقوله: إن هذا الكلام في البلاغة يقال له: اللف، والمعنى يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً لم تكن مؤمنة من قبل ذلك إيمانها من بعد ذلك، ولا ينفع نفساً كانت مؤمنة لكن لم تعمل في إيمانها

عملاً صالحاً قبل ذلك ما تعمله من العمل الصالح بعد ذلك، قال: وبهذا التقرير يظهر مذهب أهل السنة فلا ينفع بعد ظهور الآية اكتساب الخير أي لإغلاق باب التوبة ورفع الصحف والحفظة وإن كان ما سبق قبل ظهور الآية من الإيمان ينفع صاحبه في الجملة ثم قال الطيبي: وقد ظفرت بفضل الله بعد هذا التقرير على آية أخرى تشبه هذه الآية وتناسب هذا التقرير معنًى ولفظاً من غير إفراط ولا تفريط وهي قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: الآية 52] ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ [الأعراف: الآية 53] الآية. فإنه يظهر منه أن الإيمان المجرد قبل كشف قوارع الساعة نافع، وأن الإيمان المقارن ومعناه الصالح أنفع وأما بعد حصولها فلا ينفع شيء أصلاً والله أعلم انتهى. ملخصاً قوله: (ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته) بكسر اللام وسكون القاف بعدها مهملة هي ذات الدر من النوق. قوله: (يليط حوضه) بضم أوله ويقال: إلاط حوضه إذا مدره أي جمع حجارة فصيرها كالحوض ثم سد ما بينها من الفرج بالمدر ونحوه لينحبس الماء، هذا أصله وقد يكون للحوض خروق فيسدها بالمدر قبل أن يملأه. وفي كل ذلك إشارة إلى القيامة تقوم بغتة كما قال الله تعالى: ﴿لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾ [الأعراف: الآية 187] (1).

حول ياجوج وماجوج:

وأما ما ذكر حول هؤلاء الأقوام فالأصل ما جرى مع ذي القرنين في سورة الكهف حيث أمره الله سبحانه وتعالى ببناء السد على هؤلاء المفسدين في الأرض، وقد سماهم في القرآن. وقد نقل الحافظ ابن حجر جملة الأقوال في هذه الأمة أو الأمم ثم تعرض للأحاديث ورواياتها، وما ورد في فتن الحديث

---

(1) فتح الباري: 11/ 355 ـ 357.

فضلاً عن روايات أخرى، ثم يتوسع في علامات الساعة الأخرى المصاحبة ممّا لا غنى عن سرده ها هنا؛ يقول:

وقيل: إنهم من الترك قاله الضحاك وقيل: يأجوج من الترك ومأجوج من الديلم وعن كعب: هم من ولد آدم من غير حواء، وذلك أن آدم نام فاحتلم فامتزجت نطفته بالتراب فخلق منها يأجوج ومأجوج، ورد بأن النبي لا يحتلم وأجيب عنه بأن المنفي أن يرى في المنام أنه يجامع فيحتمل أن يكون دفق الماء فقط وهو جائز كما يجوز أن يبول، والأول المعتمد وإلا فأين كانوا حين الطوفان؟ ويأجوج ومأجوج بغير همزة لأكثر القراء، وقرأ عاصم: بالهمزة الساكنة فيهما وهي لغة بني أسد، وقرأ العجاج وولده: رؤية أأجوج بهمزة بدل الياء وهما اسمان أعجميان عند الأكثر منعاً من الصرف للعلمية والعجمة وقيل: بل عربيان، و اختلف في اشتقاقهما فقيل: من أجيج النار وهو التهابها وقيل: من الأجة بالتشديد وهي الاختلاط أو شدة الحر وقيل: من الأج وهو سرعة العدو، وقيل: من الأجاج هو الماء الشديد الملوحة، ووزنهما يفعول ومفعول وهو ظاهر قراءة عاصم. وكذا الباقين إن كانت الألف مسهلة من الهمزة فقيل: فاعول من يج مج وقيل: ماجوج من ماج إذا اضطرب، ووزنه أيضاً مفعول قاله أبو حاتم قال: والأصل موجوج، وجميع ما ذكر من الاشتقاق مناسب لحالهم ويؤيد الاشتقاق وقول من جعله من ماج إذا اضطرب قوله تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾ [الكهف: 99] وذلك حين يخرجون من السد، وجاء في صفتهم ما أخرجه ابن عدي وابن أبي حاتم والطبراني في الأوسط، وابن مردويه من حديث حذيفة رفعه قال: «**يأجوج أمة ومأجوج أمة كل أمة أربعمائة ألف لا يموت الرجل منهم حتى ينظر إلى ألف ذكر من صلبه كلهم قد حمل السلاح**» وهو من رواية يحيى بن سعيد العطار عن محمد بن إسحاق عن الأعمش، والعطار ضعيف جداً. ومحمد بن إسحاق قال: ابن عدي ليس هو صاحب المغازي بل هو العكاشي قال: والحديث موضوع. وقال ابن أبي حاتم: منكر، قلت: لكن لبعضه شاهد صحيح أخرجه

ابن حبان من حديث ابن مسعود رفعه: **«أن يأجوج ومأجوج أقل ما يترك أحدهم لصلبه ألفاً من الذرية»** وللنسائي من رواية عمرو بن أوس عن أبيه رفعه: **«أن يأجوج ومأجوج يجامعون ما شاؤوا ولا يموت رجل منهم إلا ترك من ذريته ألفاً فصاعداً»**، وأخرج الحاكم وابن مردويه من طريق عبد الله بن عمرو: **«أن يأجوج ومأجوج من ذرية آدم ووراءهم ثلاث أمم ولن يموت منهم رجل إلّا ترك من ذريته ألفاً فصاعداً»**.

وأخرج عبد بن حميد بسند صحيح عن عبد الله بن سلام مثله، وأخرج ابن أبي حاتم من طريق عبد الله بن عمرو قال: **«الجن والأنس عشرة أجزاء فتسعة أجزاء يأجوج ومأجوج وجزء سائر الناس»**، ومن طريق شريح بن عبيد عن كعب قال: هم ثلاثة أصناف صنف أجسادهم كالأرز بفتح الهمزة وسكون الراء ثم زاي هو شجر كبار جداً، وصنف أربعة أذرع في أربعة أذرع وصنف يفترشون آذانهم ويلتحفون بالأخرى، ووقع نحو هذا في حديث حذيفة، وأخرج أيضاً هو والحاكم من طريق أبي الجوزاء عن ابن عباس: يأجوج ومأجوج شبراً شبراً وشبرين شبرين وأطولهم ثلاثة أشبار وهم من ولد آدم. ومن طريق أبي هريرة رفعه: «ولد لنوح سام وحام ويافث فولد لسام العرب وفارس والروم، وولد لحام القبط والبربر والسودان، وولد ليافث يأجوج ومأجوج والترك والصقالبة» وفي سنده ضعف. ومن رواية سعيد بن بشير عن قتادة قال: يأجوج ومأجوج ثنتان وعشرون قبيلة بنى ذو القرنين السد على إحدى وعشرين وكانت منهم قبيلة غائبة في الغزو وهم الأتراك فبقوا دون السد. وأخرج ابن مردويه من طريق السدي قال: الترك سرية من سرايا يأجوج ومأجوج خرجت تغير فجاء ذو القرنين فبنى السد فبقوا خارجاً، ووقع في «فتاوى الشيخ محيي الدين»: يأجوج ومأجوج من أولاد آدم لا من حواء عند جماهير العلماء فيكون إخواننا لأب، كذا قال: ولم نر هذا عن أحد من السلف إلّا عن كعب الأحبار ويرده الحديث المرفوع: أنهم من ذرية نوح ونوح من ذرية حواء قطعاً.

قوله: (وحدثنا إسماعيل) هو ابن أويس عبد الله الأصبحي وأخوه هو أبو بكر عبد الحميد وسليمان هو ابن بلال، ومحمد بن أبي عتيق نسب لجده وهو محمد بن عبد الله بن أبي عتيق محمد بن عبد الرحمٰن بن أبي بكرة، وهذا السند كله مدنيون، وهو أنزل من الذي قبله بدرجتين ويقال: أنه أطول سنداً في البخاري فإنه تساعي، وغفل الزركشي فقال: فيه أربع نسوة صحابيات وليس كما قال بل فيه ثلاثة كما قدمت إيضاحه في أوائل الفتن في «باب قول النبي ﷺ: «**ويل للعرب**» وذكرت هناك الاختلاف على سفيان بن عيينة في زيادة حبيبة بنت أم حبيبة في الإسناد. قوله: (إن النبي ﷺ دخل عليها يوماً فزعاً) بفتح الفاء وكسر الزاي. في رواية ابن عيينة: «استيقظ النبي ﷺ من النوم محمراً وجهه يقول» فيجمع على أنه دخل عليها بعد أن استيقظ النبي ﷺ فزعاً وكانت حمرة وجهه من ذلك الفزع، وجمع بينهما في رواية سليمان بن كثير عن الزهري عند أبي عوانة فقال: فزعاً محمراً وجهه. قوله: (ويل للعرب من شر قد اقترب) خص العرب بذلك لأنهم كانوا حينئذ معظم من أسلم، والمراد بالشر ما وقع بعده من قتل عثمان ثم توالت الفتن حتى صارت العرب بين الأمم كالقصعة بين الأكلة، كما وقع في الحديث الآخر: «**يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة على قصعتها**» وأن المخاطب بذلك العرب قال القرطبي: ويحتمل أن يكون المراد بالشر ما أشار إليه في حديث أم سلمة: «**ماذا أنزل الليلة من الفتن وماذا أنزل من الخزائن**» فأشار بذلك إلى الفتوح التي فتحت بعده فكثرت الأموال في أيديهم فوقع التنافس الذي جر الفتن، وكذلك التنافس على الإمرة فإن معظم ما أنكروه على عثمان تولية أقاربه من بني أمية وغيرهم حتى أفضى ذلك أن قتله وترتب على قتله من القتال بين المسلمين ما اشتهر واستمر.

قوله: (فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج) المراد بالردم السد الذي بناه ذو القرنين، وقد قدمت صفته في ترجمته من أحاديث الأنبياء. قوله: (مثل هذا وحلق بأصبعيه الإبهام والتي تليها) أي جعلهما مثل الحلقة وقد تقدم في

رواية سفيان بن عيينة «وعقد سفيان تسعين أو مائة». وفي رواية سليمان بن كثير عن الزهري عند أبي عوانة وابن مردويه: مثل هذه وعقد تسعين ولم يعين الذي عقد أيضاً. وفي رواية مسلم عن عمرو الناقد عن ابن عيينة: وعقد سفيان عشرة. ولابن حبان من طريق شريح بن يونس عن سفيان: وحلق بيده عشرة، ولم يعين أن الذي حلق هو سفيان وأخرجه من طريق يونس عن الزهري بدون ذكر العقد، وكذا تقدم في علامات النبوة من رواية شعيب وفي ترجمة ذي القرنين من طريق عقيل وسيأتي في الحديث الذي بعده و«عقد وهيب تسعين» وهو ثَمَّ مسلم أيضاً قال عياض وغيره: هذه الروايات متفقة إلا قوله: عشرة. قلت: وكذا الشك في المائة لأنه صفاتها ثَمَّ أهل المعرفة بعقد الحساب مختلفة وإن اتفقت في أنها تشبه الحلقة، فعقد العشرة أن يجعل طرف السبابة اليمنى في باطن طي عقدة الإبهام العليا وعقد التسعين أن يجعل طرف السبابة اليمنى في أصلها ويضمها ضماً محكماً بحيث تنطوي عقدتاها حتى تصير مثل الحية المطوقة. ونقل ابن التين عن الداودي: إن صورته أن يجعل السبابة في وسط الإبهام ورده ابن التين بما تقدم فإنه المعروف، وعقد المائة مثل عقد التسعين لكن بالخنصر اليسرى، فعلى هذا فالتسعون والمائة متقاربان ولذلك وقع فيهما الشك. وأما العشرة فمغايرة لهما. قال القاضي عياض: لعل حديث أبي هريرة متقدم فزاد الفتح بعده القدر المذكور في حديث زينب قلت: وفيه نظر لأنه لو كان الوصف المذكور من أصل الرواية لاتجه ولكن الاختلاف فيه من الرواة عن سفيان بن عيينة. ورواية من روى عنه تسعين أو مائة أتقن وأكثر من رواية من روى عشرة وإذا اتحد مخرج الحديث ولا سيما في أواخر الإسناد بعد الحمل على التعدد جداً، قال ابن العربي في الإشارة المذكورة دلالة على أنه ﷺ كان يعلم عقد الحساب حتى أشار بذلك وليس في ذلك ما يعارض قوله في الحديث الآخر: «**أنا أمة لا نحسب ولا نكتب**» فإن هذا إنما جاء لبيان صورة معينة خاصة قلت: والأولى أن يقال المراد بنفي الحساب ما يتعاناه أهل صناعته من الجمع والفذلكة والضرب ونحو ذلك.

ومن ثم قال: «ولا نكتب» وأما عقد الحساب فإنه اصطلاح للعرب تواضعوه بينهم ليستغنوا به عن التلفظ، وكان أكثر استعمالهم له، ثم المساومة في البيع فيضع أحدهما يده في يد الآخر فيفهمان المراد من غير تلفظ لقصد ستر ذلك عن غيرهما مما يحضرهما، فشبه ﷺ قدر ما فتح من السد بصفة معروفة عندهم وقد أكثر الشعراء التشبيه بهذه العقود ومن ظريف ما وقفت عليه من النظم في ذلك قول بعض الأدباء:

رب برغوث ليلة بت منه ... وفؤادي في قبضة التسعين

أسرته يد الثلاثين حتى ذاق ... طعم الحمام في السبعين

وعقد الثلاثين أن يضم طرف الإبهام إلى طرف السبابة مثل من يمسك شيئاً لطيفاً كالإبرة وكذلك البرغوث، وعقد السبعين أن يجعل طرف ظفر الإبهام بين عقدتي السبابة من باطنها ويلوي طرف السبابة عليها مثل ناقد الدينار عند النقد وقد جاء في خبر مرفوع: «**إن يأجوج ومأجوج يحفرون السد كل يوم**» وهو فيما أخرجه الترمذي وحسنه، وابن حبان والحاكم وصححاه من طريق قتادة عن أبي رافع عن أبي هريرة رفعه في السد: «**يحفرونه كل يوم حتى إذا كادوا يخرقونه قال الذي عليهم: ارجعوا فستخرقونه غداً فيعيده الله كأشد ما كان، حتى إذا بلغ مدتهم وأراد الله أن يبعثهم قال الذي عليهم: ارجعوا فستخرقونه غداً إن شاء الله واستثنى، قال: فيرجعون فيجدونه كهيئته حين تركوه فيخرقونه فيخرجون على الناس**». الحديث. قلت: أخرجه الترمذي والحاكم من رواية أبي عوانة وعبد بن حميد من رواية حماد بن سلمة وابن حبان من رواية سليمان التيمي كلهم عن قتادة ورجاله رجال الصحيح إلا أن قتادة مدلس، وقد رواه بعضهم عنه فأدخل بينهما واسطة. أخرجه ابن مردويه لكن وقع التصريح في رواية سليمان التيمي عن قتادة بأن أبا رافع حدثه وهو في صحيح ابن حبان، وأخرجه ابن ماجه من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة قال: «حدث أبو رافع» وله طريق آخر عن أبي هريرة. أخرجه عبد بن حميد من طريق عاصم عن أبي صالح عنه لكنه موقوف قال ابن العربي: في

هذا الحديث ثلاث آيات: الأولى: أن الله منعهم أن يوالوا الحفر ليلاً ونهاراً، الثانية: منعهم أن يحاولوا الرقي على السد بسلم أو آلة فلم يلهمهم ذلك ولا علمهم إياه ويحتمل أن تكون أرضهم لا خشب فيها ولا آلات تصلح لذلك. قلت: وهو مردود، فإن في خبرهم عند وهب في المبتدأ إن لهم أشجاراً وزروعاً وغير ذلك من الآلات فالأول أولى. وأخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه من طريق ابن عمرو بن أوس عن جده رفعه: «**أن يأجوج ومأجوج لهم نساء يجامعون ما شاؤوا وشجر يلقحون ما شاؤوا**» الحديث. الثالثة: أنه صدهم عن أن يقولوا: إن شاء الله حتى يجيء الوقت المحدود قلت: وفيه أن فيهم أهل صناعة وأهل ولاية وسلاطة ورعية تطيع من فوقها، وإن فيهم من يعرف الله ويقر بقدرته ومشيئته ويحتمل أن تكون تلك الكلمة تجري على لسان ذلك الوالي أن يعرف معناها فيحصل المقصود ببركتها.

وقد أخرج عبد بن حميد من طريق كعب الأحبار نحو حديث أبي هريرة وقال فيه: «**فإذا بلغ الأمر ألقي على بعض ألسنتهم نأتي إن شاء الله غداً فنفرغ منه**». وأخرج ابن مردويه من حديث حذيفة نحو حديث أبي هريرة وفيه: «**فيصبحون وهو أقوى منه بالأمس حتى يسلم رجل منهم حين يريد الله أن يبلغ أمره فيقول المؤمن: غداً نفتحه إن شاء الله فيصبحون ثم يغدون عليه فيفتح**» الحديث وسنده ضعيف جداً. قوله: (قالت زينت بنت جحش): هذا يخصص رواية سليمان بن كثير بلفظ «قالوا: أنهلك» ويعين أن اللافظ بهذا السؤال هي زينب بنت جحش في رواية الحديث قوله: (أنهلك) بكسر اللام في رواية يزيد بن الأصم) عن ميمونة عن زينب بنت جحش في نحو هذا الحديث: «**فرج الليلة من ردم يأجوج ومأجوج فرجة** قلت: يا رسول الله أيعذبنا الله وفينا الصالحون؟» قوله: (وفينا الصالحون) كأنها أخذت ذلك من قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾ [الأنفال: 33] قوله: (قال: «**نعم إذا كثر الخبث**») بفتح المعجمة والموحدة ثم مثلثة فسّروه بالزنا بأولاد الزنا وبالفسوق والفجور، وهو أولى لأنه قابله بالصلاح. قال ابن العربي: فيه البيان بأن

الخيّر يهلك بهلاك الشرير إذا لم يغير عليه خبثه، وكذلك إذا غير عليه لكن حيث لا يجدي ذلك ويصر الشرير على عمله السيئ، ويفشو ذلك ويكثر حتى يعم الفساد فيهلك حينئذ القليل والكثير، ثم يحشر كل أحد على نيته وكأنها فهمت من فتح القدر المذكور من الردم أن الأمر إن تمادى على ذلك اتسع الخرق بحيث يخرجون، وكان عندها علم أن في خروجهم على الناس إهلاكاً عاماً لهم، وقد ورد في حالهم عند خروجهم ما أخرجه مسلم من حديث النواس بن سمعان بعد ذكر الدجال وقتله على يد عيسى، قال: **«ثم يأتيه قوم قد عصمهم الله من الدجّال فيمسح وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة فبينما هم كذلك إذ أوحى الله إلى عيسي أني قد أخرجت عباداً لي لا يدان لأحد بقتالهم فحرز عبادي إلى الطور، ويبعث الله يأجوج ومأجوج فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها ويمر آخرهم فيقولون: لقد كان بهذه مرة ماء ويحصر عيسى نبي الله وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خير من مائة دينار، فيرغب عيسى نبي الله وأصحابه إلى الله فيرسل عليهم النغف** ـ بفتح النون فتكون المعجمة ثم فاء ـ **في رقابهم فيصبحون فرسى** بفتح الفاء وسكون الراء بعدها مهملة مقصور **كموت نفس واحدة، ثم يهبط عيسى نبي الله وأصحابه إلى الأرض فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلّا ملأه زهمهم ونتنهم فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله فيرسل طيراً كأعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله، ثم يرسل الله مطراً لا يكن منه مدر ولا وبر فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلفة ثم يقال للأرض: أنبتي ثمرتك وردّي بركتك فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة ويستظلون تحتها فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحاً طيبة فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روح كل مؤمن ومسلم فيبقى شرار الناس يتهارجون تهارج الحمر فعليهم تقوم الساعة»**، قلت: والزلفة بفتح الزاي واللام وقيل: بتسكينها وقيل: بالقاف هي المرأة بكسر الميم وقيل: المصنع الذي يتخذ لجمع الماء والمراد أن الماء يعم جميع الأرض فينظفها حتى تصير بحيث يرى الرائي وجهه فيها.

وفي رواية لمسلم أيضاً فيقولون: **«لقد قتلنا من في الأرض هلم فلنقتل**

من في السماء فيرمون بنشابهم إلى السماء فيردها الله عليهم مخصوبة دماً». وأخرج الحاكم من طريق أبي حازم عن أبي هريرة نحوه في قصة يأجوج ومأجوج وسنده صحيح وعند عبد بن حميد من حديث عبد الله بن عمرو: «**فلا يمرون بشيء إلّا أهلكوه**». ومن حديث أبي سعيد رفعه: «**يفتح يأجوج ومأجوج فيعمون الأرض وتنحاز منهم المسلمون فيظهرون على أهل الأرض فيقول قائلهم: هؤلاء أهل الأرض قد فرغنا منهم فيهز آخر حربته إلى السماء فترجع مخصبة بالدم فيقولون: قد قتلنا أهل السماء فبينما هم كذلك إذ بعث الله عليهم دواب كنغف الجراد فتأخذ بأعناقهم فيموتون موت الجراد يركب بعضهم بعضاً**».

الحديث الثاني: قوله: (وهيب) هو ابن خالد وابن طاوس هو عبد الله قوله: (يفتح الردم) كذا هنا، وتقدم في ترجمة ذي القرنين عن مسلم بن إبراهيم عن وهيب فتح بضم الفاء وكسر المثناة وهي رواية أحمد عن عفان عن وهيب. قوله: (مثل هذه وعقد وهيب تسعين) أخرجه أبو عوانة من طريق أحمد بن إسحاق الحضرمي عن وهيب فقال فيه: وعقد تسعين ولم يعين الذي عقد فأوهم أنه مرفوع وقد تبين من رواية عفان ومن وافقه: أن الذي عقد تسعين هو وهيب وهو موافق لما تقدم في حديث أم حبيبة من رواية شريح بن يونس ثم ابن حبان وسبق الكلام على ذلك مفصلاً، وقد جاء عن أبي هريرة مثل أول حديث أم حبيبة لكن فيه زيادة رواها الأعمش عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة قال الأعمش ألا قد رفعه: «**ويل للعرب من شر قد اقترب أفلح من كف يده**» قال أحمد: حدثنا محمد بن عبيد حدثنا الأعمش بهذا قال ووقفه أبو معاوية يعني عن الأعمش بهذا السند عن أبي هريرة.

آراء وأفكار:

وأما قول زينب رضي الله عنها ورد الرسول ﷺ عليها، فقد فسر الخَبَث بالفسوق والفجور، وقيل: إنه الزنا خاصة، كما قيل: إن المراد هو أولاد الزنا،

والراجح أنه يدل على مطلق المعاصي. وقد قال هذا النووي في شرحه[1] وقال في معنى الحديث ها هنا: «**أن الخبث إذ كثر فقد يحصل الهلاك العام وإن كان هناك صالحون**»[2].

ولا بد ها هنا من الإشارة إلى أن مكان السد غير معروف في الظاهر؛ ولا حاجة بنا إلى معرفة مكان هذا السد، بالرغم من أن كثيرين يداخلهم الفضول لمعرفة هذا وتيقنه، غير أن التوصل إلى هذا لا يؤخر ولا يقدم شيئاً من الأمر؛ إذ إن النص على وجود هؤلاء القوم المفسدين في الأرض صريح قاطع في القرآن الكريم، وجملة الأحاديث تبين بما لا يدع مجالاً لخائض ما هي الحال بين يدي الساعة؛ وهي كافية في اطلاعنا على وجود هذا كله، وداحضة لكل ريب ووسواس في النفس بالنسبة إلى المسلمين.

نصوص الاعتقاد:

ونود أن نشير إلى الطريقة التي استحوذت على الأذهان في مسألة دراسة المغيبات والفكر بعامة هي: الطريقة الغربية التي تعتمد العلم الذي يعول على إثبات وجود الشيء بالتجربة والملاحظة والاستنتاج؛ وهي طريقة لا تصلح أن تكون أساساً للتفكير؛ فكم دحضت أفكار صحيحة وقاطعة كمسألة وجود الجن والله والملائكة باسم العلم، وكم وقع الناس على غير هدى وتبصر في مزلات هذه الطريقة التي أحق بنا وأجدر أن نجعلها حكراً على المادة المحسوسة التي تخضع للتجربة لا غير.

فالنص القاطع أو الصحيح الذي لا يتطرق الشك إلى سنده أو متنه فيه دلالة ومَقْنَعٌ كافيان في إثبات عظائم الأمور، وتقتصر وظيفة عقل الإنسان على تتبع النص ومعانيه دون زيادة ولا نقصان، والتسليم لهذا النص تبعاً لدلالته في

---

(1) شرح النووي على صحيح مسلم، عناية محمود توفيق، القاهرة 18/3.
(2) نفسه: ص4.

لغة العرب. فإذا دل دلالة قطعية فبها ونعمت، وإذا دل دلالة ظنية تحتمل عدة معانٍ في لغة العرب ولسانها فهذا له قواعد في النظر والاستنباط يُرْجَع إليها، والأفهام تتفاوت وتختلف اختلافاً بيناً.